نجدة فتحي صفوة
الوزير المفوض والمدير العام
للدائرة السياسية في وزارة الخارجية

هدية
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

اليهود والصهيونية
في علاقات الدول الكبرى

١٩٦٧

نجدة فتحي صفوة
الوزير المفوض والمدير العام
للدائرة السياسية في وزارة الخارجية

اليهود والصهيونية
في علاقات الدول الكبرى

نص المحاضرة التي القيت في الحلقة الدراسية للسياسة الدولية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية (جامعة بغداد) بتاريخ ١٣ نيسان سنة ١٩٦٧

(طبع على نفقة وزارة الخارجية)

١٩٦٧

اليهود والصهيونيـة
فى علاقات الدول الكبرى
(الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي)

اهميـة الدراسـة العلمية لاحـوال الجاليات اليهـودية والنشاط الصهيونى ـ سبب اهتمامنا باليهود ـ اليهود فى العالم : طوائفهم ولغاتهم ـ يهود الولايات المتحدة ـ انتشار الصهيونية بين اليهود الامريكيين ـ كسب التاييد الامريكى للصهيونية ـ اثر اليهود والصهيونية فى علاقات امريكا الخارجية ـ يهود الاتحاد السوفيتى ـ الحركة الصهيونية فى روسيا القيصرية ـ اليهود فى العهد السوفيتى ـ المشكلة اليهودية ـ المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى ـ عهد ستالين وتقسيم فلسطين ـ حقيقة الدعايات الصهيونية عن وضع اليهود فى الاتحاد السوفيتى ـ نشـاط اسرائيل وسفارتها بموسكو فى الدعاية ضد الاتحاد السوفيتى ـ يهـود الاتحاد السوفيتى والهجرة الى اسرائيل .

أنني اشعر بسرور كبير لهذه الفرصة التي اتاحتها لي كلية الاقتصاد والعلوم السياسية للمشاركة فى هذه الحلقة الدراسية ، والتحدث الى هذه الزمرة الكريمة من طلابها وضيوفها . ولذلك لا يفوتني ان افتتـح كلامي معرباً عن

شكري الوافر لعمادة الكلية على هذه الفرصة الثمينة .

لا شك ان من اولى المهام الملقاة على الدبلوماسي العربي في الخارج ، بحكم واجبه القومي وواجبه الرسمي ، هي مراقبة النشاط الصهيوني في البلد الذي يمثل بلاده فيه . ويستتبع ذلك طبعاً دراسة احوال اليهود فى ذلك البلد ومدى اسهامهم في الحركات الصهيونية ، وتغلغلهم في البلاد التي يتكاثفون فيها ، والأثر الذي يكون لهم فى سياستها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، وصلاتهم باسرائيل التي غرست في قلب الوطن العربي ظلماً وعدواناً .

اننا كثيراً ما نسمع بالانتقادات التي تتردد عن ضعف الدعاية العربية في الخارج ، ونشاط الدعاية الصهيونية . وانني لا انكر صحة هذه الشكوى فى حالات كثيرة ، ولكنني اختلف مع اصحابها في تعليلها وتحديد اسبابها . وبالرغم من انني لم اقصد الخوض في هذا الموضوع فى مقامي هذا ، الا انني اود ان اشير بصورة خاصة الى ملاحظة معينة يبديها بعض المحايدين حول دعايتنا ، وهي انها تستند في كثير من الأحيان الى العاطفة وحدها ، ولا تقوم على الدراسة العلمية العميقة التي يكون تأثيرها ، وخاصة في الاوساط المثقفة ، ابعد واعمق من اساليب الدعاية العاطفية والحماسية . وهذه ملاحظة سمعتها من اصدقاء العرب ايضاً اكثر من مرة ، ووجدتها كلما زدتها تأملاً ، على غير قليل من الصواب . فالدراسة العلمية الهادئة لأحوال اسرائيل ، واحوال الجاليات

اليهودية فى الخارج ، والنشاط الصهيوني في البلاد التي يكثرون فيها ، ستزيدنا معرفة بنقاط الضعف والقوة في حجج خصومنا واساليبهم ، وبالتالي تجعلنا اقدر على تفنيدها واحباطها . ولا يعين المرء في التغلب على خصمه اكثر من معرفته الجيدة له .

وعندما طلب الي ان اشارك في هذه الحلقة الدراسية رايت ان اتحدث فيها عن بعض ملاحظاتي عن احوال اليهود ، والمعلومات التي تكونت لدي عن نشاطهم الصهيوني ، ومدى نفوذهم وتاثيرهم في آخر دولتين قدر لي ان اعمل فيهما ، وصادف ان كانتا الدولتين اللتين تضمان اكبر عدد من اليهود في العالم ، وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي .

واود ان اشير قبل ان ادخل فى صميم الموضوع ان ما سالقيه على مسامعكم لن تكون له اية صفة رسمية ، ولن يكون تعبيراً عن سياسة اية جهة ، كما انه لن يكون مستقى من اية وثائق او مصادر رسمية لم تنشر . وإنما هي آراء شخصية بحته ، ومعلومات تجمعت بنتيجة ملاحظات ومطالعات خاصة .

سبب اهتمامنا باليهود

وليس اهتمامنا باليهود ودراستنا احوالهم ، نتيجة تعصب ديني او تميز عنصري . فما بنا عداوة للديانة اليهودية ، ولا خصومة مع احد بسبب معتقداته . بل ان خصومتنا هي مع الصهيونية كفكرة سياسية ، وخطة

عدوانيـة وتوسعية . ولا شـك ان هـذه التهمة هي مما تحاول الدعايات الصهيونية الصاقه بنا ـ كجزء من خطتها الدعائية ـ بقصد تشويه حججنا ، ومسخ وجهات نظرنا امام الراي العـام العـالمي ، واظهـارنا بمظهر المتعصبين الحاقدين على الآخرين بسبب اديانهم ومعتقداتهم ، وجعلنا اشبه بالنازيين الذين حاولوا إبادة اليهـود .

لقيت في احـدى الحفـلات في موسـكو صحفيـاً بريطانيـاً ، علمت فيما بعد انه كان يهـودياً وصهيونياً ، وعندما عرفوه بي ، سالني : «ماهو اعتراضكم على اسرائيل» فاجبته ببرود تام : « موقعها الجغرافي » .

وقد اثار هذا الجواب ضحك الحاضرين واستغراب البعض منهم . ولكنني لم اقصد النكتة فيما قلت . فالعرب لم يضمروا لليهود عداوة بسبب ديانتهم ولا عنصرهم . ولم يكونوا ليعارضوا في إقامة دولة يهودية في اية بقعة من العالم تجمع شتاتهم وتؤوى مشرديهم فيما اذا رغبوا بذلك . بل لعل العرب كانوا من اوائل من يمدون اليهم يد المساعدة ، كما فعلوا مع شعوب اخرى كافحت لأجـل استقلالها او تقرير مصيرها . وقد لقى اليهـود اضطهاداً كثيراً ومذابح مؤلمة في كل بلد عاشوا فيه تقريباً ، الا في البلاد العربية . ولكن ازاحة ظلم عن شعب بايقاع ظلم مماثل بغيره ، وايواء شعب على حساب تشريد شعب آخر ، امر مختلف ، وهو ما لا يرتضيه اي ضمير .

وقد اعترف بهذا وعبر عنه خير تعبير واوجزه معلق

صحفي امريكي منصف هو « هوارد ك . سمث » في رسالة بعث بها من عمان الى شركة كولومبيا للاذاعة والتلفزيون C. B. S. في اوائل سنة ١٩٥٦ قال فيها :

« ان ضميرنا قد ايقظته معاملة هتلر لليهود ، وشعرنا شعورا واضحا بالحاجة الى رؤية وطن يستطيع اليهود المضطهدون ان يذهبوا اليه . ولكن الحقيقة التي غفلنا عن رؤيتها هي اننا اخترنا وطن اناس آخرين لاعطائه لهم . ان الذين عذبوا اليهود كانوا غربيين ، وهم الالمان . ومعاداة السامية توجد في امريكا وبريطانيا كما توجد في اقطار غربية عديدة اخرى ، ولكنها لا توجد قط في البلاد العربية ، فالعرب ساميون ايضا. وهكذا ، اذ اردنا ان نؤدي ديننا تجاه ضميرنا ، جعلنا العرب يسددون الحساب » (١) .

اليهود في العالم ـ طوائفهم ولغاتهم :

يبلغ مجموع اليهود في العالم اليوم حوالي (١٣) مليون نسمة ، وهم منتشرون في القارات الخمس . معظمهم في القارة الامريكية (٦) ملايين في امريكا الشمالية ، و (٧٠٠) الف في امريكا الجنوبية ، وتليها اوربا (٣٫٧٨٣٫٠٠٠) ، ثم آسيا (٢٫١٢٤٫٠٠٠) ، ثم افريقية (نصف مليون) ، واخيراً اوستراليا ونيوزيلنده (٧٢) الف تقريباً .

اما الدولة التي تضم اكبر عدد من اليهود فهي الولايات المتحدة ، ففيها (٥٫٦١٢٫٠٠٠) يهودي ، اي حوالي (٤٨) بالمائة من مجموع اليهود في العالم ، ويليها

(١) Alfred M. Lilienthal, *There Goes the Middle East,* New York, 1957.

الاتحاد السوفيتي ، وعددهم فيه حوالي (ثلاثة ملايين) ، ثم فرنسا حوالي (نصف مليون) ، ثم بريطانية والارجنتين حوالي (٤٥٠) الف في كل منهما تقريباً ، ثم كندا ، وعددهم فيها بحدود (ربع المليون) (٢) .

ويلاحظ طبعاً ان اليهود هم اقلية فى جميع البلاد التي وجدوا فيها ، ويسميهم بعض المؤرخين الاجتماعيين « الاقلية الكلاسيكية » ـ وذلك باستثناء اسرائيل .

وينقسم اليهود بصورة عامة الى طائفتين متمايزتين ، تعرف الاولى باسم « سفارديم » وينتمي اليها يهود البرتغال واسبانيا . والثانية باسم « آشكنازيم » وينتسب اليها اليهود الالمان ، او الذين ينحدرون عن أصل الماني ، ومنهم يهود بولونيا واغلبية يهود روسيا . ومصدر هذه التسمية الأخيرة هي كلمة « آشكناز » ومعناها بالعبرية الحديثة « المانيا » ـ والياء للنسبة والميم للجمع .

وتشمل طائفة « السفارديم » فى الوقت الحاضر يهود البلاد الاسلامية ، بسبب تأثرهم الكبير باللاجئين من اليهود الاسبان ، واشتراكهم معهم في ما ض واحد كانوا خلاله تحت حكم دول اسلامية ، فتشابهت تقاليدهم الدينية والاجتماعية .

وكان بين الطائفتين منذ القرن السادس عشر تنافس وتنافر . وكان اليهود البرتغاليون والاسبان في البداية

(٣) *American Jewish Year Book*, New york, 1965.

يعتبرون انفسهم اجل قدراً واعرق نسباً من «الآشكنازيم»، فلا يخالطونهم في معابدهم ولا يزوجون بناتهم بهم . وقد استمرت هذه التفرقة بينهم حتى القرن السابع عشر حيث كانت الطبقات المرفهة من اليهود لا تزال من طائفة السفارديم وحدها . وفي القرن الثامن عشر فقط بدأ بعض الافراد وبعض المجموعات اليهودية من اوربا الوسطى والشرقية فى الحصول على مكانة متساوية الى جانبهم (٣) .

وتتكلم طائفة « السفارديم » فى اوربا اللغة الاسبانية . أما « الآشكنازيم » فتتكلم اللغة اليهودية المسماة « يدش » وهي لغة اليهود الالمان ، وكانت في اساسها اللغة الالمانية المستعملة في القرون الوسطى ، بعد ان دخلت عليها بطبيعة الحال كثير من المفردات العبرية وغيرها من المفردات الأجنبية ، وخرجت عن اللهجة الالمانية الأصلية ، وتكونت لها لهجات اختلفت باختلاف المناطق واللغات الاخرى المحيطة بها .

وكانت اللغة « اليدش » تكتب بالحروف العبرية ، ولا تزال ، مع فروق بسيطة . وقد جعل اليهود فى بولونيا منها لغة ادبية ، وانتجوا بها أدباً شعبياً ودينياً . ومع ذلك فقد بقيت اللغة العبرية قائمة الى جانب اللغة اليهودية (يدش) بين يهود بولونيا وروسيا ، وان كانت لغة كتابة وليست لغة تخاطب .

---

(٣) لقد انعكست الآية الآن فى اسرائيل حيث ينظر اليهود الغربيون الى اليهود الشرقيين (القادمين من اليمن واتحاد افريقية والهند وايران) نظرة ترفع واستهانة لتفوقهم عليهم فى المستوى الثقافى والاجتماعى .

يهود الولايات المتحدة

ان الولايات المتحـدة ـ كما سبق ان ذكرنا ـ مركز اكبر تجمع يهودي في العالم ، ويعود تاريخ اليهود فيها الى ثلاثمائة سنة فقط ، وهي مدة ليست طويلة بالنسبة الى شعب قديم كاليهود . ويقـال ان عدداً من اليهـود كانوا يرافقون كولومبس فى رحلته التي اكتشف فيهـا القـارة الامريكية . ويؤلف اليهود اليوم اكبر مجموعة غير مسيحية في الولايات المتحـدة ، وقد تزايد عددهـم بقفزات كبيرة نتيجـة موجات متتابعـة من الهجـرة بحسب الجـدول التخميني الآتـي : (٤) .

السـنة	عدد اليهـود
١٧٩٠	٣ر٠٠٠
١٨٤٠	١٥ر٠٠٠
١٨٥٠	٥٠ر٠٠٠
١٨٨٠	٢٥٠ر٠٠٠
١٩٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩١٤	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩٢٨	٤ر٢٢٨ر٠٠٠
١٩٤٣	٥ر١٩٩ر٢٠٠

واستناداً الى احصائية سـنة ١٩٣٠ الرسمية فان (١ر٧٥٠ر٠٠٠) من يهـود الـولايات المتحـدة افادوا في

(٤) Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism*, Detroit, 1961, p. 47

استمارات تسجيل النفوس ان لغتهم الاولى هي (اليديش) وبعد ذلك بعشر سنوات ـ وبالرغم من تزايد عدد اليهود ـ فان عدد الذين اعتبروا لغتهم هي (اليديش) قد انخفض الى (١٫٢٢٢٫٠٠٠) (٥) .

ان الأغلبية الساحقة من يهود الولايات المتحدة قدمتها من أوربا ، حيث اعتادت السكنى في المدن الكبيرة او المتوسطة . وقل من كان يسكن الارياف منهم او يشتغل في الزراعة .

ويظهر من دراسة اعدتها دائرة النفوس الامريكية عن المجموعات الدينية في الولايات المتحدة في سنة ١٩٣٦ ، ان عدد اليهود في تلك السنة كان (٤٫٧٧٠٫٠٠٠) وان (٤٫٦٤٠٫٠٠٠) منهم كانوا يسكنون في (٩٦٧) مدينة كبيرة ، والباقي في جماعات صغيرة مشتتة (٦) .

ويظهر من الدراسة نفسها ايضاً ان (٧٨) بالمائة من مجموع اليهود في تلك السنة كانوا يقيمون في اكبر (١٤) مدينة في الولايات المتحدة .

ان التركز الجغرافي لليهود الامريكيين كانت له آثار سياسية مهمة ، فقد اكسبهم ذلك في مناطق معينة قوة

---

(٥) Abraham G. Duker, "*Workshop in Jewish Community Affairs,* Course I: The American Jewish Community: Its History and Development." New York: American Jewish Congress, n.d. (c. 1953), p. 19.

(٦) انظر Samuel Halperin المرجع سالف الذكر .

سياسية لم يكونوا ليحصلوا عليها لو انتشروا فى انحاء الولايات المتحدة بصورة متساوية . اذ ان قوتهم السياسية وأصواتهم في تلك الحالة كانت تعادل نسبتهم الى مجموع سكان البلاد وهي (٣) بالمائة تقريباً .

ومن ناحية اخرى فان تركز اليهود بمجموعات كبيرة فى مناطق معينة وازدياد نفوذهم فيها ، ادى الى ضعفهم في مناطق اخرى ، وتزايد الشعور المعادي ضدهم في بعضها .

وكان لهذا التركز الجغرافي ايضاً علاقته بتنظيم النشاط الصهيوني بينهم ، وتنفيذ خطط الجمعيات الصهيونية فى اجتذاب اكبر عدد من اليهود الامريكيين الى جانبهم ، اذ ادى ذلك الى تسهيل مهمة المنظمات الصهيونية ، وتقوية حملات جمع التبرعات والمساعدات ، حيث تركزت الجهود على مناطق قليلة ، بدلاً من تشتتها في بلاد شاسعة كالولايات المتحدة .

وكذلك فان تكاتف الاغلبية الساحقة من اليهود في المدن والحواضر زاد فى كفاءة المنظمات الصهيونية لسهولة الاتصال فيما بينها بسبب توافر وسائل الاعلام كالجرائد اليهودية المحلية ، ووجود المؤسسات اليهودية كالكنائس والمدارس الدينية والمراكز الاجتماعية الاخرى ، كالنوادي وغيرها ، وذلك كله لم يكن ليتيسر لو اقام اليهود فى المناطق الريفية او كانوا مشتتين في البلاد .

انتشار الصهيونية بين اليهود الامريكيين

كانت اغلبية اليهود فى الولايات المتحدة حتى سنى

الحرب العالمية الثانية ميالة الى «الاندماج» Assimilation وكان مجموع المعتنقين للفكرة الصهيونية لا يزيد في نسبته عن خمسة بالمائة من مجموع يهود البلاد ، اما الباقون فكانوا اما غير مهتمين بالأمر او معارضين للصهيونية . فقد كان معظم المهاجرين اليهود الذين قدموا الى الولايات المتحدة من المثقفين او المتعلمين ، وقد قدموها اما فراراً من الاضطهاد في البلاد التي كانوا يقيمون فيها او طلباً للرزق وبحثاً عن امكانيات الثروة التي تدفق الى امريكا بحثاً عنها ملايين المهاجرين من كل انحاء العالم . ولم يكن هؤلاء اليهود فى غمرة حياتهم الجديدة ، وفي بداية كفاحهم لأجل تأمين معيشتهم وضمان مستقبلهم وتحقيق احلامهم بالثراء بحاجة الى التفكير في هجرة اخرى ، ولا في وضع يشجعهم على العمل السياسي ، ففضلوا الاندماج في الحياة الامريكية مكتفين بان يعتبروا مجموعة دينية لا قومية .

وقد اصبح هذا الوضع مدعاة قلق متزايد لزعماء الصهيونية لان عدد اليهود في امريكا اخذ يؤلف نسبة كبيرة من يهود العالم ، ولان النقطة الثالثة من مخطط « هرتزل » الصهيونية كانت ضرورة كسب اسناد يهود العالم . ولذلك اخذت المنظمات الصهيونية تمارس نشاطاً هائلاً بين اليهود الامريكيين لجلب اكبر عدد منهم الى الصهيونية . وارسل « المجلس التنفيذي لفلسطين » ضباط دعاية عرفوا باسم « شليخيم » الى امريكا للقيام باقناع اليهود الامريكيين بان الصهيونية السياسية هي الحل الوحيد للأزمة التي كانت تواجه يهود العالم فى تلك الفترة . وكانت الحجة الرئيسية

التي استعملت لجلب اليهود الامريكيين الى صفوف الصهيونية هي ابراز حاجة اليهود المضطهدين في اوربا الى ملجأ لهم ، ومحاولة استثارة عطف اليهود على اخوانهم بسبب ما قاسوه على يد هتلر .

وكانت هذه المحاولات ناجحة في النتيجة ، فما ان انتهت الحرب الا وكان عدد الصهيونيين الامريكيين قد تضاعف . وفي فترة ما بعد الحرب أصبح من المستحيل تقريباً على اي يهودي معارضة الصهيونية جهاراً اذ اراد الحفاظ على احترام اليهود الآخرين (٧) .

كسب التأييد الامريكي للصهيونية

ولم تكتف الصهيونية في الولايات المتحدة بكسب تأييد اليهود الامريكيين وحدهم ، وانما بذلت جهوداً جبارة لكسب التأييد الامريكي بصورة عامة ، لاعتقاد الصهيونيين بان القوة الامبراطورية البريطانية الى الزوال ، وان زعامة الغرب بعد الحرب ستؤول الى الولايات المتحدة ، ولا بد للصهيونية من الحصول على اسنادها لتحقيق اهدافها في اقامة الدولة اليهودية في فلسطين .

ومضى الصهيونيون في تحقيق هذه المهمة الخطيرة بهمة خارقة ، عاملين على ثلاثة مستويات : كسب التأييد لقضيتهم من الراي العام الامريكي اولاً ، ومن الكونغرس ثانياً ، ومن الحكومة الامريكية ثالثاً .

---

(٧) Alan R. Taylor, *Prelude to Israel*, London, 1961, p. 77.

اما الحصول على تأييد الراي العام الامريكي ، وجلب الشعب الامريكي الى جانب الصهيونية فقد عهد بهما الى « مجلس الطوارىء الصهيوني الامريكي » . وقد اسس لهذا المجلس (٧٦) فرعاً فى الولايات والمناطق ، لها (٣٨٠) لجنة في المستويات المحلية . هذا الى جانب قيام « لجنة فلسطين الامريكية » ، ثم « المجلس المسيحي لشؤون فلسطين » الذي اسس لكسب عطف رجال الكنيسة البروتستانتية (٨) .

وبذل الصهيونيون ، اضافة الى ذلك ، جهوداً كبيرة لكسب مؤازرة رجال الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى لادراكهم جيداً مدى أهميتها في الحصول على عطف الراي العام وتأييده . وهكذا شنت حملة واسعة ، بلغت ذروتها عام ١٩٤٣ ، لادخال الفكرة السياسية الصهيونية في كل منفذ من الحياة الامريكية . واتصل الصهيونيون فى نشاط هائل باتحادات العمال وبالمجالس النيابية في الولايات المختلفة ، وبأعضاء الحزبين الرئيسين ، الجمهورى والديمقراطي ، حتى اتخذت المجالس النيابية فى (٣٣) ولاية قرارات مؤيدة للصهيونية ، كما اتخذ مثل هذه القرارات « مؤتمر المنظمات الصناعية » و « اتحاد العمال الامريكي » (٩) . وفي انتخابات سنة ١٩٤٤ تبنى كلا الحزبين ـ بنتيجة حملة الدعايات الصهيونية ـ مناهج وشعارات مؤيدة للصهيونية .

(٨) المرجع السابق ص ٧٥ .
(٩) المرجع السابق ص ٧٦ .

وهكذا نجح المزيج المؤلف من جهود الصهيونيين ، وجهل الراي العام الامريكي معنى الصهيونية واغراضها الحقيقية ، في خلق اسناد شعبي واضح للصهيونية بين الامريكيين . والى جانب ذلك كله كان ثمة عامل سلبي ، وهو انعدام الدعاية العربية او ضعفها ، لان العرب لم يقابلوا الدعاية الصهيونية المنظمة بدعاية مثلها تدحض ادعاءاتها ، كما ان الامريكيين الذين هم من اصل عربي لم يتركزوا في اماكن معينة كما فعل اليهود ، ولم يكن عددهم ليوازي عدد اليهود على اي حال .

اما فيما يتعلق بالكونغرس ، فلم تكن محاولات الصهيونية لاستدرار تأييده للقضية الصهيونية اقل من ذلك ، وقد ظهرت آثاره الاولى في انتماء (٦٧) من اعضاء مجلس الشيوخ و (١٤٣) من اعضاء مجلس النواب الى « لجنة فلسطين الامريكية » في سنة ١٩٤٢ ، وظهرت مرة اخرى عندما انضم ثلث اعضاء مجلس الشيوخ الى (١٥٠٠) شخصية امريكية معروفة في توقيع تصريح يطالب بانشاء جيش يهودي (١٠) . ولم يكن وقوف امريكا بجانب الصهيونية محض اختيار رئيس الجمهورية وحده وانما يعود الى مساندة الكونغرس ودعمه لها ، وقد ساعدت طبيعة النظام الامريكي في ذلك الى حد بعيد (١١) .

(١٠) George E. Kirk, *The Middle East in War*, London, 1953, p. 247.

(١١) انظر : في دور الكونغرس الدكتور فاضل زكي محمد « الكونكرس الامريكي ونكبة فلسطين » بغداد ١٩٦٤ وخاصة ص ٢٥ وما بعدها .

وقد نتج عن محاولات الصهيونيين في التأثير على الانتخابات العامة وشرائهم اعضاء الكونغرس اثر مزدوج ، وذلك بأن تبنى كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري مناهج مؤيدة للصهيونية واخذا يتباريان في اسنادها طمعاً فى اصوات اليهود في بعض الولايات المهمة التي اصبحت اصواتهم فيها ذات اثر حاسم فى تقرير نتائج الانتخابات . وبلغ الصهيونيون حداً من النفوذ بحيث لم يعد يجرؤ مرشح من المرشحين او حزب من الاحزاب على عدم تأييد الصهيونية .

واما مهمة كسب تأييد الحكومة والسلطة التنفيذية العليا في البلاد فقد عهدت به الصهيونية الى « وايزمان » للخبرة التي تكونت لديه في الاتصال بكبار الساسة ، وقدرته في الاقناع . فقام خلال الحرب بثلاث سفرات الى الولايات المتحدة وبذل جهوداً كبيرة للحصول على تعهدات من الحكومة الامريكية لمساندة الصهيونية . واتصل بالرئيس روزفلت الذي ظهر انه — وان لم يكن قط عدواً للصهيونية — كان يحجم عن منحها عطفاً خاصاً ، ويميل في موضوع فلسطين الى فكرة تسوية ترضى العرب واليهود معاً .

وبالرغم من ان الصهيونيين لم يلاقوا نجاحاً يذكر في اتصالهم بروزفلت ، فانهم اسسوا فى عهد ادارته تقليداً في محاولة التأثير في السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط عن طريق البيت الابيض . وفي اثناء رئاسة ترومان ادى هذا الاسلوب الى مغانم كبيرة الاثر ، اذ انه بتسلم ترومان

رئاسة الجمهورية بعد روزفلت انضمت الحكومة الى الكونغرس والشعب كقوة جديدة مؤثرة في محاولات الصهيونيين للحصول على كيان دولي (١٢) .

أثر اليهود والصهيونية في علاقات أمريكا الخارجية

بعد ان نجحت الصهيونية فى جلب اغلبية اليهود الامريكيين الى صفوفها ، وتمكنت بعد ذلك من كسب تأييد الشعب ، والكونغرس ، والحكومة ، اخذ اثرها فى علاقات الولايات المتحدة الدولية وسياستها الخارجية ـ وخاصة في الشرق الاوسط ـ يبدو واضحاً . وبلغ النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة من القوة ان اصبح قادراً على تسخير نفوذ الحكومة الامريكية لدى الدول الاخرى لتأييد المطالب الصهيونية .

ففي صيف سنة ١٩٤٥ اتخذ الرئيس ترومان اول اجراء ايجابي في صالح الصهيونية بان طلب الى المستر كليمنت آتلى ، رئيس الوزارة البريطانية ، السماح بدخول مائة الف يهودي الى فلسطين .

وكانت السنة التالية ـ اي سنة ١٩٤٦ ـ موعد انتخابات الكونغرس ، فاستغل الصهيونيون هذا الظرف ، فعندما علم ان مرشح الحزب الجمهوري « ديوى » يفكر فى الادلاء بتصريح مؤيد للصهيونية ، اخذ بعض مرشحي الحزب الديمقراطي بالضغط على « ترومان » للادلاء بتصريح مماثل باسم الحزب ، وهكذا اخذ الحزبان

(١٢) Alan R. Taylor ـ المرجع سالف الذكر ص ٨٤ .

السياسيان الرئيسان فى الولايات المتحدة يتباريان في تأييد الصهيونيـة ويتنافسان للحصول على اصـوات اليهـود في الانتخـابات .

وفي هـذه السـنة نفسها كان الكونغرس الامريكي يدرس مشروع قانـون بمنـح بريطانيـة قرضـاً بمبلـغ (٣٫٧٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠) دولار . وعندما اعلن « بيفن » وزير الخارجيـة البريطانيـة معارضته لفكرة قبول مائة الف يهودي الى فلسطين ، عمد اعضاء الكونغرس الصهيونيون الى تهديد بريطانية بعرقلة هذا القرض الذي كانت في امس الحاجة اليه . وكان لتهديدهم اثره الفعال فى ارغام بريطانية على التراجع واتخاذ موقف اكثر تأييداً للصهيونية (١٣) .

وعندما تخلت بريطانيـة عن فلسطين ، وطلبت الى الامم المتحدة ادخال قضيتها في جدول اعمالها ، كان نفوذ الولايات المتحـدة ـ بدافـع النفـوذ الصهيوني ايضاً ـ القوة التي جعلت الصهيونيين يحصلون على قرار الموافقة على التقسيم باساليب كانت وصمة عـار فى تاريخ الامـم المتحـدة . وعلى سـبيل المثال كانت كل من (هايتي) و (لايبـيريا) و (الصـين) و (الحبشة) و (اليـونان) و (الفيليبين) قـد ابدت معارضتها للتقسيم ، بل ان ممثلي

(١٣) شكا المستر « بيفن » من ذلك فى تصريح له بين فيه انه كان يستطيع ايجاد تسوية عربية ـ يهودية للقضية الفلسطينية لو لم يصر الرئيس ترومان متأثرا بموقف حزبه السياسى وقال : « فى الشؤون الدولية تتعـذر تسوية الامـور اذا كانت القضايا التى نعالجها موضوع مساومة فى انتخابات محلية ... » .

اغلب هـذه الدول قد القوا في الجمعية العمومية خطباً في معارضة التقسيم . فنشط الجهاز الصهيوني على اثر ذلك نشاطاً كلياً ووجه عن طريق الولايات المتحدة اقصى ضغط ممكن على تلك الدول ولوح لكل واحـدة منها بالتهديد في قضية او قضايا تتعلق بمصالحها الحيـوية وحملهـا على التراجـع عن مواقفهـا التي اعلنت عنهـا ، وعلى تأييـد التقسيم او الامتناع عن التصويت ، باستثناء اليونان التي بقيت مصرة على رفض التقسيم وصوتت ضـده ، وهـو موقف يجب ان يذكره لها العرب بالتقدير .

وقد وجهت انتقادات قوية الى الاساليب التي اتبعتها الصهيونيـة في الضغط على الولايات المتحـدة وغيرها من الدول للتدخل في صالح اليهود ، تلك الاساليب التي لم تعد سراً . ومع ذلك فقد حاول « وايزمان » في رسالة وجهها الى « ترومان » بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ ان ينفي وجـود اساس للاتهـام السائد في واشنطن في هـذا الشان ، وقال فيهـا :

« لقد اشيع في واشنطن ان جماعتنا مارسوا ضغطا مفرطا وغير لائق على وفود معينة وبذلك اشتطوا في تادية مهمتهم . انني لا استطيع ان اتكلم عن الاشخاص غير المخولين ، ولكنني في وضع استطيع ان اؤكد لكم فيـه – ياعزيزي الرئيس – انه لا اساس لهذه التهمة فيما يتعلق بممثلينا . فقد قاموا بعدد محـدود جـدا من الاتصالات مع جميع الوفود وحاولوا ان يضعوا الحقائق امامهم كما هي . ولم يخرجوا في اي وقت من الاوقات عن حدود الاقناع المشروع والمعتدل » (١٣) .

(١٤) مذكرات « ترومان » نيويورك ١٩٥٦ الجزء الثاني ص ١٥٨ .

ولكن ترومان نفسه كتب فى مذكراته التي نشرها بعد انتهاء رئاسته قائلاً :

« الحقائق هى ان عمليات الضغط فى دوائر الامم المتحدة لم تكن فقط بصورة لم يعرف لهـا مثيل هناك من قبل ، بل ان البيت الابيض ايضا كان عرضة لضغط مستمر . ولا اعتقد انني قد تعرضت قط لضغط ودعاية وجها الى البيت الابيض مثل الذى تعرضت له فى هذه الحالة . ان الحاح عدد من قادة الصهيونية المتطرفين ـ مدفوعين بدوافع سياسية ولاجئـين الى التهـديدات السياسية ـ قد اقلقنى وازعجنى . ولقـد كان البعض يقتـرح ان نضغط على دول ذات سيادة لحملهـا على التصويت لصالحهم فى الجمعية العمومية » (١٥) .

وبعـد قبـول التقسيم كانت المهمـة الباقيـة هي الحصول على اعتراف الولايات المتحدة باسـرائيل ، وهي مهمة لم تعـد عسيرة بـعد ما بذل الصهيونيون من جهود ومارسوا من ضغط ، وندع وصف طريقـة الاعتراف الى « ترومان » نفسه ، حيث قال في مذكراته :

« ... اما الآن وقد كان اليهود مستعدين لاعـلان قيام دولة اسرائيل ، فقد قررت ان ابادر فورا واعلن اعتراف امريكا بالدولة الجديدة . واوعزت الى احـد موظفى ان يبلغ قرارى الى وزارة الخارجية لايصاله الى السفير اوستن فى الامم المتحدة بنيويورك . وبعد ذلك بثلاثين دقيقة ، وبعد مرور احدى عشرة دقيقة بالضبط على اعلان قيـام اسرائيل كدولة ، سلم جارلى روس ، سكرتيرى الصحفى ، الى رجال الصحافة بيانا باعتراف الولايات المتحـدة بحكومة اسرائيل الموقتـة اعترافا واقعيا » (١٦) .

(١٥) المرجع السابق ص ١٥٨ ايضا .

(١٦) المرجع السابق ص ١٦٤ .

واما ما تبع ذلك من سياسة الولايات المتحدة نحو اسرائيل والمساعدات المالية والعسكرية السخية التي اغدقتها عليها وتأييدها المستمر لباطل اليهود ضد حق العرب في فلسطين فامرها معروف لكم جميعاً ، ولذلك ننتقل الآن الى الكلام عن اليهود في الاتحاد السوفيتي .

يهود الاتحاد السوفيتي

اما الاتحاد السوفيتي فهو الدولة الثانية في العالم من حيث عدد اليهود الموجودين فيه . ويظهر من احصائية النفوس الرسمية لسنة ١٩٥٩ (١٧) ـ وهي آخر احصائية رسمية ـ ان عدد اليهود في الاتحاد السوفيتي كان (٢٦٨ر٢ر٠٠٠) ، بينما تذهب بعض التخمينات اليهودية غير الرسمية الى ان عددهم يبلغ ثلاثة ملايين او ثلاثة ملايين ونصف . ويؤلف اليهود ـ استناداً الى الاحصائية المذكورة ١ر١ بالمائة من مجموع سكان الاتحاد السوفيتي .

اما في العهد القيصري ، فقد كان عدد اليهود في روسيا يقدر بخمسة ملايين في سنة ١٩١٤ وكان هذا العدد يؤلف نصف اليهود في العالم في ذلك الوقت . وسبب هذا الانخفاض الكبير هو ان نصف ذلك العدد كانوا يقطنون المناطق التي انتقلت الى بولونيا بعد الحرب العالمية الاولى . كما ان مجموعات كبيرة منهم كانت تقيم في المناطق

(١٧) نشرت في جريدة « البرافدا » الصادر بتاريخ ٤ شباط ١٩٦٠ .

التي احتلتها المانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، فقتل الكثيرون منهم مع اليهود الآخرين الذين قتلوا خلال الحرب . كما ان اعداداً كبيرة منهم هاجرت الى امريكا خلال سنى الحرب وفي اوائل ايام الحكم البلشفي .

واليهود في الاتحاد السوفيتي منتشرون فى مختلف جمهورياته ، من شواطىء بحر البلطيق وحدود بولونيا حتى المحيط الهادي وتخوم الصين . على ان المنطقة التي يتكاثفون فيها اكثر من غيرها هي منطقة اوكرايينا ، واغلبهم يقيمون في المدن الكبيرة .

اما المدينة التي تحتوي على اكبر عدد من اليهود فى الاتحاد السوفيتي فهي موسكو . وتتراوح التقديرات لعدد اليهود الموجودين فيها بين (٣٠٠) الف ونصف المليون . ويرجع عدم الدقة في معرفة عددهم الى عدم وجود اية احصائيات دينية في الاتحاد السوفيتي . وتكون موسكو ـ بحسب اي تخمين كان ـ المدينة الثانية فى العالم من حيث كثرة اليهود المقيمين فيها ، وهي تأتي بعد نيويورك ، وتليها بين مدن الاتحاد السوفيتي « كييف » عاصمة جمهورية اوكرايينا ، ثم « اوديسا » ميناء الاتحاد السوفيتي على البحر الاسود ، ثم مدينة « بيروبيجان » عاصمة المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي ويوجد فيها حوالي (٨٥) الف يهودي . وسنتحدث عن هذه المقاطعة فيما بعد .

والى جانب « كييف » و « اوديسا » ـ توجد جاليات يهودية كبيرة فى مدن اوكرايينا الاخرى ، وكذلك فى جميع المدن الكبرى مثل « لينينغراد » و « مينسك » وغيرهما ، ولا تزال توجد فى مدينة « بخاري » وهي اقدم المدن الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ـ جالية يهودية قديمة يبلغ عددها حوالي (٢٠) الف شخص .

ويتعاطى اليهود في الاتحاد السوفيتي كل انواع الحرف والاعمال ، وان كانوا بصورة عامة لا يميلون الى الاعمال التي تتطلب مجهودا جسمياً كبيراً ، وكانوا قبل ثورة اكتوبر منصرفين الى الاعمال التجارية والمالية . اما بعد الثورة ، حيث قضى النظام الشيوعي على المجال الفردي فى هذه الاعمال ، فقد انتقلوا الى ميادين اخرى من العمل . وهم اليوم مبرزون بصورة خاصة في الطب والعلوم ، وفي اوساط الموسيقى والمسرح والسينما . ولما كان اغلب اليهود يقيمون فى المدن عادة ، فقلما يوجد بينهم من يتعاطى الاعمال الزراعية .

انتقلت الديانة اليهودية الى الكثير من السلاف وغيرهم من شعوب الاتحاد السوفيتي من يهود « الخزر » الذين قامت دولتهم بين القرنين السابع والعاشر مساحة شاسعة من الاراضي التابعة للاتحاد السوفيتي اليوم ، بين بحر الخزر والبحر الاسود . على ان اغلبية اليهود في الاتحاد السوفيتي ينحدرون من اليهود الذين هاجروا من المانيا في القرن الخامس عشر ، حيث اضطر الكثيرون منهم تحت ضغط الالمان الى الهجرة الجماعية ،

وهـؤلاء يؤلفـون الاغلبية الساحقـة من يهـود الاتحـاد السوفيتي ، وهم جميعاً من طائفة « آشكنازيم » .

والى جانب هؤلاء توجد اربع مجموعات اثنولوجية صغيرة اخـرى ، انحـدرت عن اليهود الذين هاجروا من الشرق الادنى فى العصور القديمة او الوسطى ، ويعرفون باليهود الشرقيين ، وهم « اليهود الجبليون » الذين هم من اقـدم سـكان منطقة القفقاس ، وكان عددهم ـ حسب احصاء سنة ١٩٢٦ حوالي (٢٦) الفاً ـ . وهم يتكلمون اللغة « التاتية » التي هي لهجة محرفة من الفارسية . ثم « يهود جورجيا » ، وكان عددهم في سنة ١٩٢٦ في حدود (٢٠) الفاً ، وهم اكثر اليهود تمسكاً بالديانة اليهودية فى الاتحاد السوفيتي . ثم « يهـود بخاري » ، وهم من اقدم اليهود عهداً في الاتحـاد السوفيتي ، ويبلغ عددهم (٢٠) الفـاً ويقيمـون في آسـيا الوسـطى ، ويتكلمون اللغـة « التاجيكية » أو « الازبكية » . ويقال ان يهود « بخاري » ينحدرون عن اليهود الذين جاء بهم تيمورلنك من العراق في القرن الرابع عشر . واخيراً «يهود القرم» ، وهم يؤلفون اصغر جالية بين اليهود الشرقيين ، وقد اصبحت هـذه الجالية فى حكم البائدة بعد الحرب العالمية الثانية .

الحركة الصهيونية في روسيا القيصرية

ظهرت الحركة الصهيونية الى الوجود للمرة الاولى بين يهود روسيا ، ويعود تاريخها الى ما قبل قيام الحكومة السوفيتية الحاليـة .

والفكرة الشائعة اليـوم هي ان اليهودي النمساوي

« تيودور هرتزل » هو رائد الصهيونية الاول ، وان كتابه « الدولة اليهودية » الذي نشر سنة ١٨٩٦ كان اول دعوة الى اقامة مثل هـذه الدولة ، وان الصهيونية لم تعـرف كحركة سياسية عالمية الا في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة « بازل » بسويسرة سنة ١٨٩٧ . والواقع ان المشاعر الصهيونية ظهرت وانتشرت بين يهود روسيا قبل ذلك بمدة طويلة .

وليس ذلك غريبـا ، فقد كانت روسـيا فى القـرن التاسع عشر موطن اكبر عدد من اليهود في العـالم ، وكان العداء لليهود من المشاعر الشائعة فيها . وكانت السياسة الحكومية تسعى عادة حتى عام ١٩٠٥ الى تحويل سخط الجماهير في تيار العداء للسامية ، كما كانت هنالك تفرقة فى المعاملة بين اليهـود وغيرهم في مجالات التعليم والاقامة وملكية الارض والخدمة الحكومية. وقد نتجت عن ذلك كله هجرة يهودية واسعة النطاق الى امريكا خاصة في العهود الرجعية كعهود نيقولا الاول ، والاسكندر الثالث ، ونيقولا الثـاني . غير ان السلطات مـع ذلك لم تكن لتتدخـل فى نشاط المنظمات الطائفية لليهود .

ولذلك كان اضطهاد اليهود في روسـيا القيصرية ، والمذابح اليهودية في اوكرانيا سنة ١٨٨١ من اهم العوامل التي بعثت النعرات العنصرية والمبـادىء الصهيونيـة بين يهـود روسيا قبل غيرهم (١٨) .

(١٨) انظر : Louis Greenberg — *The Jews in Russia*, Vol. II, p. 168

ومع ذلك فان « اليعزر بن يهوذا » نادى بفكرة بناء وطن قومي لليهود في فلسطين حتى قبل هذه المذابح (١٩) ، فى حين ان هرتزل نفسه لم يخصص فلسطين في البداية كمقر لا بد منه للدولة اليهودية التي اقترح انشاءها ، بل قال : « اننا سنقبل بما نعطاه ،وما يختاره الراي العام اليهودي » ، وذكر فلسطين كاحد الاحتمالات فقط ، وذكر الارجنتين كاحتمال آخر ، وان كان يفهم من المقارنة التي عقدها بينهما انه يفضل فلسطين (٢٠) .

اما اول من عبر عن التيار القومي بين يهود روسيا بصورة واضحة المعالم ، وباقتراحات معينة فهو « ليو بينسكر » فى كتاب عنوانه « التحرير الذاتي » نشر سنة ١٨٨٢ ، حث فيه على انشاء اقليم يهودي ، في

---

(١٩) اليعزر بن يهوذا (١٨٥٨ ـ ١٩٢٢) لغوى عبرى ، ولد فى ليتوانيا واستوطن القدس سنة ١٨٨١ وكان رائد فكرة أحياء اللغة العبرية واتخاذها اللغة الرسمية ولغة التخاطب فى الدولة اليهودية التى نادى بفكرة اقامتها فى فلسطين فى مقال له بعنوان « المشكلة الملتهبة » نشر سنة ١٨٨١ فى مجلة « السحر » التى كانت تصدر فى فينا باللغة العبرية العدد (٩) .

(٢٠) انظر : T. Herzl, *The Jewish State : An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question*, tr. Sylvia d'Avigdor (1896), p. 28 — 29.

فلسطين او في امريكا ، يتم الحصول عليه بالجهود المشتركة لليهود من جميع اقطار العالم . وقد نشر «التحرير الذاتي» قبل كتاب هرتزل باربعة عشر عاماً . وبالرغم من تشابه آراء هرتزل وبينسكر واقتراحاتهما فان هرتزل عندما وضع كتابه « الدولة اليهودية » لم يكن قد اطلع على « التحرير الذاتي » او سمع به . وقد قرأه بعد صدور كتابه ، وكتب في مذكراته انه ربما لم يكن ليكتب كتابه لو علم بوجود كتاب بينسكر (٢١) .

وقد ساعد على انتشار الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا عدد من الكتاب والقصصيين باللغتين العبرية ـ واليهودية من اشهرهم بن يهوذا ، وسمولنسكين ، وليلينباوم ، وبينسكر ، وليفاندا .

وعلى اثر اغتيال القيصر الكسندر الثاني سنة ١٨٨١ سرت الاشاعات بان اليهود هم الذين دبروا هذا الحادث ، فهاج الراي العام الروسي ، وكان ذلك الشرارة التي آذنت ببداية المذابح اليهودية ، تلك المذابح التي كانت رد فعل لشعور الكراهية الكامن ضد اليهود . وقد ادى هذا الحادث والمذابح التي اعقبته الى موجة من الهجرة الى غرب اوربا وامريكا وفلسطين .

وفي هذه الآونة بدات تظهر في مدن مختلفة من روسيا جمعيات ومنظمات صهيونية تحمل اسماء مختلفة اهمها جماعة الشعب الخالد (Am Olam) التي نادت

---

(٢١) *The Diaries of Theodor Herzl*, London, 1958, p. 96.

بالهجـرة الى الولايات المتحدة الامريكية ، ومنظمات بيلو (BILU) التي الفها جماعة من الطـلاب اليهود ، وكان منهاجها السـفر الى فلسطين فـوراً وتاليف مستعمرات تعاونيـة فيهـا . وكانت كلتـا المنظمتـين فاشـلتين فى تحقيـق اهدافهمـا .

واخـيراً ظهـرت جمـاعـة عشـاق صهيـون (Hobebe Zion) التي كانت اول جمعية صهيونية بالمعنى الصحيح رسمت منهاجاً يهدف الى بناء وطن قومي لليهود في فلسطين ، واتخـاذ العبرية لغـة قومية . وكان تاثير هـذه الجماعات اوسع من غيرها ، وهي التي مهدت السبيل لظهور « الصهيونية السياسية » فيما بعد وذلك ليس بنشر الفكرة الصهيونية بين جماهير اليهود الروس فحسب ، بل باضفائهـا على الصهيونية مفهوماً عقائدياً ، واظهارها عدداً من الكتاب والمفكرين الذين وجهوا الحركة الصهيونية . وقد انتشرت فروع هـذه الجمعية في جميع مواطن التجمع اليهودي في روسيا وامتدت الى رومانيـا والمـانيا والنمسـا وانكلترا وامريكا . ولذلك كانت الضجة التي احدثهـا نشر كتاب « الدولـة اليهودية » لهرتزل بين يهـود روسيا اكبر منها فى اي بلد آخـر ، بنتيجة دعايات جماعة « عشاق صهيون » وحلقاتها المنتشرة في كثير من المدن الروسية ، وكذلك لان عدد اليهود فى روسيا كان اكبر

منه في اي بلد آخـر من جهة ، والضغط والكراهية اللتين كانتا تحيطان بهم فيها اكثر من اي بلد آخر ايضاً .

وبالرغم من انتشار بذور الصهيونية بين يهود روسيا انتشاراً سـريعاً وواسعاً ، فان الحـركة لم تعـدم بعض المعارضين من يهود روسيا الذين حاربوها بشدة .

لقـد حارب انصار حـزب « البـوند » (٢٢) الفكرة الصهيونية ودعوا الى « اندماج » اليهود بالروس . وكانوا يؤمنون ، حسب العقيدة الماركسية التي اعتنقوها بان كفاح الطبقة العاملـة واحـد ولا يتجزأ ، وان الشعور المعادي لليهـود سـيزول حتماً بزوال الراسمالية ، وقد اعتبروا الفكرة الصهيونية محاولة لتحويل اهتمام الجماهـير عن النضال الطبقي الذي كان بنظرهم الوسيلة المثلى لانقـاذ البروليتاريا اليهـود .

وحارب الصهيونيـة ايضـاً من بـين اليهـود دعاة « الاندماج » Assimilation وقد تنكروا لها لانها تعرقل الطريقة التي كانوا يرونها مفتاحاً لحل مشكلتهم ، وهي أن يندمج اليهود بالروس فيصبحوا روساً بقوميتهم ويهـوداً

---

(٢٢) البوند Bund – التسمية المختصرة لـ « اتحاد العمال اليهود العام في ليتوانيا ، وبولونيا ، وروسيا » وهو اول حزب عمالي اشتراكي-ديمقراطي في روسيا ، اسس سنة ١٨٩٧ ، وكانت له شبكة واسعة من العمال اليهود ومنظماتهم . وقد انحاز « البوند » بعد الثورة الى جماعة « المنشفيك » ومنع نشاطه في خلال العشرينات .

بديانتهم ، وان تتخذ اجيالهم المقبلة الروسية لغة لها ، وتتخلى عن العبرية و « اليديش » .

وعارضت الصهيونية من بين يهود روسيا ثالثاً الطبقة الغنية منهم ، وكانت معارضتها لسببين : فقد اعرض اغنياء اليهود عن تأييد حركة « عشاق صهيون » بسبب رفض الحكومة القيصرية ان تجيزها رسمياً . وكان اولئك حريصين على عدم إثارة الحكومة ضدهم خوفاً من تعرض مصالحهم المالية والتجارية للضرر . أما السبب الثاني فهو تخوفهم من ان يكون تأييدهم للصهيونية سبباً للطعن في وطنيتهم وولائهم لروسيا . وقد كان هذا موقف كثير من اليهود الاغنياء ، ليس فى روسيا وحدها بل في جميع البلاد التي وجدوا فيها ، فقد كانوا ـ مع استثناءات قليلة ـ اما غير مهتمين بالصهيونية ، او معادين لها في البداية .

اليهود في العهد السوفيتي

وعندما جاءت الثورة البلشفية ، بفوراتها الاجتماعية والاقتصادية الكاسحة اختلفت الامور بالنسبة لليهود والصهيونية اختلافاً كلياً .

والنقطة المهمة التي يجب ملاحظتها فى هذا الشان ، هي ان الحكومة السوفيتية الجديدة فرقت بين اليهود والصهيونية تفرقة تامة ، ونظرت الى كل منهما بمنظار خاص . وعندما فرضت دولة اسرائيل على ارض فلسطين العربية ، اصبح هنالك عامل ثالث حاولت الا يتاثر موقفها منه بالعاملين الآخرين .

اعتبرت الحكومة السوفيتية اليهود ، من الناحية الرسمية والقانونية ، مواطنين متساوين في الحقوق مع غيرهم مساواة تامة . كما واعتبر الدستور السوفيتي كل عمل عدائي ضد اليهود بسبب كونهم يهوداً ، وكل تفرقة بين المواطنين السوفييت بسبب الدين او القومية جريمة معاقباً عليها بالقانون (٢٣) .

ولكن من جهة اخرى ، كانت المكانة التي احتلها اليهود بالذات ، ووجود كثير من الشخصيات اليهودية التي احتلت مكانة كبيرة في اجهزة الحزب والحكومة ، سبباً في بعث نوع من الشعور بعدم الارتياح على الصعيد الشعبي الذي كانت لا تزال تسوده الكراهية القديمة لليهود . فقد كان بين زعماء الحزب البارزين ، واعوان لينين المقربين ، كثيرون من اليهود امثال : تروتسكي ، وزينوفييف ، وسفردلوف ، وكامينيف ، وكاغانوفيج ، وليتفينوف وآخرين .

---

(٢٣) نصت المادة (١٢٣) من الدستور السوفيتي الصادر سنة ١٩٣٦ على ان « المساواة في الحقوق بين مواطني الاتحاد السوفيتي بصرف النظر عن القومية والعنصر ، في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والعامة والثقافية والاجتماعية والسياسية ، هي قانون ثابت لايمكن التنازل عنه ولا يمكن ابطاله » .

« ويعاقب القانون على كل تضييق مباشر او غير مباشر للحقوق ، او بالعكس ، على كل تعيين لامتيازات مباشرة او غير مباشرة في مصلحة المواطنين بسبب العنصر أو القومية التي اليها ينتمون ، كما يعاقب على كل دعاية لأثرة عنصرية او قومية ، أو للحقد والازدراء » .

أما الصهيونية ، والتوطن اليهودي في فلسطين ، فقد كانت الحكومة السوفيتية ، والحزب البلشفي ـ الشيوعي فيما بعد ـ ضدهما على الدوام . وكانت هجرة العمال اليهود الى فلسطين تعتبر هروباً من ساحة المعركة في الحرب الطبقية . وكان جميع المسؤولين في موسكو ابتداء من لينين وتروتسكي وستالين يعتبرون الصهيونية « حركة رجعية » باعتبارها الوسيلة التي ينوي كبار الراسماليين اليهود ان يستغلوا بها اخوانهم في الدين من الطبقة العاملة . ورجعية لأنها تحاول ارجاع عجلة التاريخ الى الوراء ، وتؤسس دولة على اساس ديني وقومي ، في حين ان الشيوعية تهدف الى « العالمية » و « الدولية » ، وهي رجعية كذلك لأنها ستكون اداة للاستعمار البريطاني وركيزة له في المنطقة (٢٤) . ولم يتغير موقف الاتحاد السوفيتي من الصهيونية بالرغم من التغييرات الهامة التي طرات على جهاز الحكم فيه ، وعلى سياسته الخارجية (٢٥) .

---

(٢٤) Walter Z. Laqueur, *The Soviet Union and the Middle East*, London, 1959, p. 34.

(٢٥) وجه احد المستمعين بعد المحاضرة سؤالا وجيها عن سبب اعتراف الاتحاد السوفيتي باسرائيل بسرعة تدعو الى الاستغراب . والواقع ان سياسة الاتحاد السوفيتي قامت دائما على الفصل التام بين ثلاثة اشياء : اليهود السوفييت ، والصهيونية ، واسرائيل . ولذلك لم يكن مما يناقض تلك السياسة ان تعامل يهود الاتحاد السوفيتي دون تمييز ، وتشجب الصهيونية بنفس الوقت ، وتعترف باسرائيل وتدخل معها في علاقات سياسية ، دون ان يتاثر موقفها من احدى هذه =

واذا نظرنا الى تعريف الصهيونية في دائرة المعارف السوفيتية الكبيرة ، وهي الكتاب الذي يعتبر اعلى مرجع رسمي سوفيتي ، وما تذكره دائرة المعارف يعبر عن وجهة النظر الماركسية الرسمية دائماً ، فاننا نجدها تعرف « الصهيونية » بما يأتي :

« حركة برجوازية قومية ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر بين يهود الطبقة البرجوازية فى النمسا والمانيا وروسيا وغيرها من البلدان . وفى عام ١٨٩٧ ظهر الى الوجود فى مدينة بازل بسويسرة تنظيم يدعى « المنظمة الصهيونية العالمية » وكان على راس أهداف هذه المنظمة ترحيل اليهود من جميع انحاء العالم الى فلسطين . وفى نهاية القرن التاسع عشر انتشرت الصهيونية بصورة ملحوظة ليس فقط فى صفوف البرجوازية اليهودية بل فى صفوف اليهود الفقراء ايضاً ، فحادت بهم عن النضال ضد الهدف الاساسى وهو الظلم الاجتماعى . لقد اراد القادة الصهيونيون ان يصوروا للعالم ان اليهود فى جميع انحاء العالم يكونون (قومية يهودية واحدة) متخذين من دعاية الوحدة اليهودية سلاحا لعزل الكادحين اليهود عن النضال الى جانب شعوب البلدان الاخرى حيثما كانوا من اجل الحرية

= الثلاث بموقفها من الاخرين . ويرى معظم الباحثين والمعلقين الغربيين ان اسراع ستالين فى الاعتراف باسرائيل كان جزءا من سياسته الرامية الى ازاحة بريطانيا عن منطقة الشرق الاوسط وليس بدافع العطف على فكرة اقامة دولة يهودية . انظر مثلا : David J. Dallin, في كتابه : *Soviet Foreign Policy After Stalin*, London, 1960, p. 111.

والديمقراطية ، وكذلك ليحيدوا بهم عن النضال الطبقى ضد البرجوازية ، بما فى ذلك البرجوازية اليهودية .

« بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ أصبح مركز « منظمة الصهيونية العالمية » فى اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية . فى الاتحاد السوفيتى ، وبلدان الديمقراطات الشعبية حيث حلت مشكلة القوميات ، لا يوجد أى مساند الى صهيون ومنظمته » (٢٦) .

المشـكلة اليهـــودية

واما من الناحيـــة العملية فقـد اصبح اليهـود مرة اخرى مشكلة واجهت الحكومة البلشفية بعد توليها الحكم . وكانت هذه المشكلة تختلف فى نوعها عن مشاكل القوميات والاقليات الاخـرى ، كما كانت لهـا وجوه متعددة وفيها صعوبات اضافيـة .

فقد كان اليهـود منتشرين في مختلف انحاء الاتحاد السوفيتي ، وكان اغلبهـم يمارسـون اعمـال التجـارة والصيرفة ، وذلك بسبب ميلهم الطبيعي الى هذه الاعمال من جهة ، ومنع الحكومة القيصرية اياهم من ممارسة كثير من الوظائف والحرف وتملك الاراضي ، وتحديدها اقامتهم فى مناطق معينة ، من جهـة اخرى . وكان الكثيرون منهم

(٢٦) دائرة المعارف السوفيتية الكبرى :

(*Bolyshaya Sovetskaya Entsiklopediya*)

الجزء (٣٩) صفحة (١٣٨) مادة (صهيونية) .

يمتلكون محلات تجارية صغيرة او يمارسون بعض الصناعات اليدوية ، كالخياطة وصنع الاحذية او تصليحها ، وكان عددهم بين عمال المصانع قليلاً نسبياً ، واقل من ذلك في الاعمال الزراعية . فلما تولت الحكومة البلشفية الحكم ، والغيت الصناعات الفردية ، كما الغيت التجارة الخاصة ، فقد اغلب اليهود موارد كسبهم ، ولم يتمكن ذلك العدد الكبير الذي تعطل منهم فجأة من ايجاد اعمال جديدة يعيشون بها . ولذلك فان الثورة البلشفية وان رفعت عن اليهود كثيراً من القيود المفروضة عليهم سابقاً ، ومنحتهم حقوقاً سياسية وثقافية متساوية مع المواطنين الآخرين ، فانها من ناحية اخرى سدت في وجوههم كثيراً من ابواب الكسب التي تعودوا عليها منذ اجيال .

وقد تمكن عدد منهم من ايجاد اعمال في المصانع ، وارتفع عدد العمال الصناعيين اليهود من (١٥٠) الف في وقت الثورة الى اكثر من نصف مليون في بداية سنة ١٩٣٣ ، ومع ذلك فكان لا بد من ايجاد حل لمشكلة بقية اليهود ، وقد حاولت الحكومة ايجاد هذا الحل بتوطينهم في اراضي زراعية ، وتحويلهم الى الاعمال الزراعية .

وقد حاولت الحكومة البلشفية بعد توليها الحكم تنظيم الهجرة داخل الاتحاد السوفيتي من المناطق المزدحمة الى المناطق التي تقل فيها كثافة السكان ، وانشات في سنة ١٩٢٢ معهداً خاصاً للقيام بالابحاث والدراسات المتعلقة بعمليات التهجير والتوطين . وكان احد نتائج خطط التهجير والتوطين المذكورة وضع مشروع لتوطين اليهود .

وفي سنة ١٩٢٤ الفت هيئة الرئاسة (بريزيديوم) لمجلس القوميات لجنة «لتوطين الكادحين اليهود في الاراضي الزراعيـة » (٢٧) ـ كان يرمز اليها باسم Komzet ، ووضعت هـذه اللجنة مشروعاً لتوطين مائة الف اسـرة يهودية ، ووضعت الحكومة تحت تصرفها الاراضي اللازمة لتنفيذ المشروع في جنوبي اوكرانيا وفي منطقة القرم ، مع وعد بتخصيص اراضي فى مناطق اخرى فيما بعد ، وقد تم توطين مائة الف يهودي فعلاً فى اوكرانيا والقرم .

ومع ذلك فان السلطات السوفيتية لم ترتـح كثيراً لتجربة توطين مجموعات من اليهود في مزارع تعاونيـة ، لان هذه المزارع التي اسست في منطقتى القرم واوكرايينا اصبحت مراكز للدعاية الدينية ، وقواعد لترسيخ الشعور الديني بين الناشئة اليهود (٢٨) . وقد بقيت هذه المزارع التعاونية اليهودية قائمة حتى الحرب العالميـة الثانيـة ، ولكن السلطات السوفيتية لم تقم باعادة تأسيسها بعـد الحرب . ولعل قوة الشعور الديني الذي ساد هذه المزارع كان السبب في ذلك .

على ان هنالك سبباً مهماً آخر . فقد كان ستالين لا يطمئن الى ولاء اليهود للاتحاد السوفيتي ، ولذلك وجد من الافضل عدم تركيزهم في منطقة ستراتيجية مثل منطقة

---

(٢٧) Committee for the Agricultural Settlement on the Land of Jewish Toilers.

(٢٨) *The American Jewish Year-Book*, Philadelphia, 1925, pp. 54—5.

القرم . ويؤيد هـذا ما صرح به خروشوف فى آب سنة ١٩٥٧ أثنـاء مقابلة له مـع وفد شيوعي كندي ، اذ قال

« انه كان يتفق فى الرأى مع ستالين بان منطقة القرم يجب الا تتخذ مركزاً لتوطين اليهود ، لان هذه المنطقة فى حالة الحرب يمكن ان تصبح قاعدة لضرب الاتحاد السوفيتى » (٢٩).

المقاطعة اليهـودية ذات الحكم الذاتي

ولجأت الحكومة السوفيتية في سنة ١٩٣٤ الى حل آخر لتوطين اليهود ، بان افردت لهم منطقة خاصة يجري تهجيرهم اليها تدريجياً ، ولا تتداخل معهم فيها القوميات الاخرى ، لينظموا لأنفسهم فيها مقاطعة ذات حكم ذاتي ، تمكنهـم فيمـا بعـد من انشـاء جمهـورية سـوفيتية مستقلة (٣٠) .

---

(٢٩) Lazar Pistrak, *The Grand Tactician — Khroschev's Rise to Power*, London, 1961, P. 187.

(٣٠) يتألف الاتحاد السوفيتى من (١٥) جمهورية مستقلة نظـريا ، ومتحدة اتحادا فدراليا . وتضم بعض الجمهوريات الكبيرة جمهوريات اصغر منها ليست مستقلة ولكنها متمتعة بالحكم الذاتى . وتقسم الجمهوايات الكبيرة الى نوعين من الوحدات الادارية الصغيرة تدعى (كراى) و (اوبلاست) ، وبعض هذه الوحدات ذات حكم ذاتى ايضا ، والمفروض انها تمثل حكما ذاتيا لمقاطعة معينة تحتوى على مجموعة من السكان لا يكفى عددهم لتاليف جمهورية ذات حـكم ذاتى . ويمثـل كل (اوبلاست) فى مجلس السوفيـات الاعلى للقوميات بخمسة نواب ، وتوجـد فى الاتحاد السوفيتى تسع وحدات ادارية ذات حكم ذاتى من نوع (اوبلاست) احداها هى المقاطعة اليهودية « بيروبيجان » .

خصصت هذه المقاطعة في احدى مناطق الشرق الاقصى الغنية بتربتها ومواردها الطبيعية تدعى « بيروبيجان » ، وهي تقع على حدود منشوريا قرب بحر اليابان وشبه جزيرة سخالين ، وعلى بعد مائة كيلومتر تقريباً غربي مدينة خابروفسك . اما مدينة « بيروبيجان » ـ وهي العاصمة الادارية للمقاطعة ـ ، فهي حديثة نسبياً ، وكانت حتى سنة ١٩٢٨ محطة صغيرة على سكة حديد سيبريا تدعى « تيخونكايا » ولم يكن فيها يهود قبل ذلك التاريخ .

ويبلغ نفوس المقاطعة ـ حسب احصاء سنة ١٩٥٩ ـ (١٦٣) الف نسمة . اما مدينة « بيروبيجان » فيبلغ نفوسها (٤١) الف نسمة .

وعندما أعلنت « بيروبيجان » مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي سنة ١٩٣٤ القى كالنين (الذي كان رئيساً لهيئة الرئاسة السوفيتية ـ البريزيديوم ـ في ذلك الوقت) خطاباً بهذه المناسبة قال فيه :

« أن انشاء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي حدث هام جداً ، اذ ان تركيز عدد كبير من السكان اليهود في وحدة حكومية سيساعد على رفع الخدمات الثقافية للجماهير الى أعلى مستوى ممكن ، كما انه سيعطي الشعب اليهودي كل صفات الأمة ، ويتيح الفرصة لمزيد من الازدهار لثقافة اشتراكية في محتواها ويهودية في شكلها . ان الرواد الاوائل في احتلال المنطقة الجديدة سينشئون جيلا قوياً .. وستكون بيروبيجان ، خلال عشر سنوات ، مركزاً اساسياً لجماهير اليهود » .

ولكن نبوءة كالنين لم تصدق . فقد فشلت محاولة تهجير يهود الاتحاد السوفيتي وتوطينهم جميعاً في هذه المقاطعة وجعلها « وطناً قومياً » لهم ، اذ عزف اليهود عن الذهاب الى هذه المنطقة لصعوبة الوصول اليها وانقطاعها عن المدن الكبيرة والمراكز المهمة . كما ان الذين ذهبوا اليها لم يرتاحوا لها . ولذلك لا تزال اكثرية اليهود في الاتحاد السوفيتي منتشرة في المدن الكبيرة وخاصة في اوكرانيا .

ويذكر « ولتر بيدل سمث » سفير الولايات المتحدة في الاتحاد السوفيتي بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٤٩ ، في مذكراته :

« ان تجربة بيروبيجان كانت محل اهتمام كبير من السفارة الامريكية . وقد تقدمنا الى السلطات السوفيتية بطلبات متكررة للسماح لأحد الموظفين بالتوقف في المنطقة وزيارتها خلال السفرات التي كانوا يقومون بها بين موسكو وفلاديفوستوك . ولكن هذا الطلب كان يرفض دائماً ، ولم يكن لنا ان نستنتج من ذلك الا ان السلطات السوفيتية لم ترغب في ان نطلع مباشرة ونتأكد من صحة ما نسمعه عن حالة المقاطعة السيئة والفقيرة نسبياً ، وعن مستوى المعيشة الواطىء فيها . والظاهر ان المحاولات لجعلها وطناً قومياً يهودياً قد فشلت ، وان الحكومة لم تعد تعير المشروع اهتماماً كبيراً ، سوى جعلها ملجأ لبعض اليهود الاوكرانيين » (٣١) . ومع ذلك فان « بيروبيجان » لا تزال ، من الناحية الرسمية ، تعد مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي وان لم يكن فيها كثير من اليهود ، اذ لا يتجاوز عددهم نصف سكان المقاطعة » .

---

(٣١) Walter Bedell Smith, *My Three Years in Moscow*, New York, 1950, p. 276.

عهد ستالين وتقسيم فلسطين :

وشهد عهد ستالين فترة عرفت في الغرب باسم فترة « التطهير الكبير » شملت كثيرين من اليهود . وبعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، وخرج منها الاتحاد السوفيتي معتزاً بنشوة الانتصار في حرب كانت بتعبير ستالين « اقسى واصعب الحروب التي عرفناها في تاريخ الوطن الأم » ، وفي الظروف الحرجة التي اعقبت الحرب كان الاتحاد السوفيتي يواجه مهمة جبارة هي اعادة بناء البلاد بالاعتماد على مواردها وحدها . وقد رافقت هذه الجهود الصناعية الكبيرة التي كان لا بد لها ان تبذل ، كثير من اجراءات الضغط والتقشف فى المجال الاقتصادي ، واجراءات مماثلة فى المجال الثقافي والفكري . وفي هذه الفترة قطع الاتحاد السوفيتي صلاته بالعالم الخارجي واصبحت القومية الروسية تلقى تشجيعاً متزايداً واصبح الحذر من الاجانب السمة المميزة للنظام السائد . وقد فاقت هذه المظاهر كل ما عرف في فترات التصنيع السابقة لانها في هذه المرة كانت تستمد قوتها من الاعتزاز والفخار الذي اخذ يشعر به السوفيات بنتيجة الانتصار فى الحرب ، ومن الحاجة الى تقوية معنويات الشعب لاحتمال المزيد من التضحيات . فازداد التركيز على تفوق الثقافة السوفيتية وسموها ، ورفض الثقافات الاجنبية ، والحيلولة دون تسرب اية تأثيرات خارجية ،

حقيقية او موهومة ، وذهب ذلك الى ابعاد غريبة .

وقاد « زدانوف » ـ رجل ستالين المقرب في البوليتبورو ـ المكتب السياسي ـ حملة توجيهية حاربت فى الحياة الثقافية والادبية السوفيتية نزعات التشاؤم والتذمر . وقد هاجمت هذه الحملة دونما استثناء كل فئة من المفكرين الذين لا ينسجمون مع الخط الحزبي ، ونشرت سيطرتها على كل صحيفة علمية او ثقافية . وامتدت الحملة في سنة ١٩٤٩ الى مهاجمة اي امتزاج بالعالم او العالمية (Cosmopolitanism)
ووجهت هذه الحملة ضد الاجانب و « الذين ليست لهم في الوطن جذور » واصبحت اية صلة بالعالم الخارجي ، وبمن يحتمل ان يكون عدواً للاتحاد السوفيتي ، سبباً للشك . ولا نزاع في ان هذه الحملة شملت اليهود اكثر من غيرهم . يذكر ذلك الكتاب والمؤرخون الذين يحاولون استدرار العطف على اليهود ، والتباكي على ما تعرضوا له من اضطهاد ، دون ان يوضحوا الاسباب الحقيقية التي تكمن وراءه .

والواقع ان اختصاص اليهود بالنصيب الاكبر من تلك الحملة لم يكن بسبب كونهم يهوداً . بل لانهم كانوا اكثر رعايا الاتحادالسوفيتي صلات بالعالم الخارجي . وكان لدى اغلبهم اقرباء تخلفوا فى شتى الاقطار الاوربية ، او

هاجروا الى امريكا وفلسطين ، فجعلهم ذلك موضع ريبة الحكومة السوفيتية ومحل رقابتها .

وفي هـذه الفترة ايضاً فرض كيان اسرائيل فى قلب الوطـن العـربي ، فتطلعت ابصار الكثـيرين من اليهـود اليها . ولكن الحكومة السوفيتية التي لم يكن من سياستها السماح باية هجرة من الاتحاد السوفيتي ـ لاسباب لا علاقة لها باليهود ولا باسرائيل ـ لم تسمح لهم بذلك طبعاً .

واصبح لليهود في الاتحاد السوفيتي ـ شانهم في كل بلد وجدوا فيه ـ ولاء وعطف جديد لدولة اجنبية . ولئن كان نظام الحكم والظروف السائدة في الاتحاد السوفيتي لم يسمحا بظهور هـذا الولاء على حقيقته كثيراً ، فقد تجلى ذلك فى الاقطار الاخرى ، وخاصة فى الولايات المتحدة التي اصبح اليهود فيها ـ خلال الفترة نفسها ـ يفدقون على اسرائيل التبرعات والهبات ولا يزالون ، في حين انهم قلما تبرعوا ، وبهذا النطاق ، للمشروعات الخيرية في البلاد التي آوتهم ومنحتهم جنسيتها وجمعوا ثرواتهم فيها .

ومع ذلك فقد كانت هنالك مناسبات عديدة فضحت تطلع اليهود السوفييت الى اسـرائيل واظهرت شعورهم بالارتباط بها . واذكر منها مناسبة يرددها الصهيونيون واصدقاؤهم من الغرب كدليل على تعلق اليهود السوفييت باسـرائيل ، تعـود الـى سـنة ١٩٤٨ عنـد وصـول « غولدا مايرسون » (٣٢) التي عينت اول ممثلة لاسرائيل

(٣٢) غيرت اسمها فيما بعد الى « غولدا ماير » وكانت وزيرة للخارجية الى وقت قريب .

في موسكو ، وكان التمثيل الدبلوماسي بين البلدين على مستوى المفوضيات في البداية . حيث قررت ان تحضر الصلاة في المعبد اليهودي في موسكو . وقد وصف ما حدث خلال تلك الزيارة الصحفي الامريكي اليهودي ايرفنج ليفاين الذي كان مراسلاً لشركة الاذاعة والتلفزيون الوطنية (N.B.C.) قائلاً :

« تلك البناية الرخامية ، باعمدتها الاغريقية ، كانت مسرح انفجار عاطفي ليهود موسكو عندما حضرت الصلاة فيها غولدا مايير اول سفيرة « كذا » لاسرائيل في الاتحاد السوفيتي . كانت الكنيسة مكتظة ، وكذلك كان الشارع . وقد قوبلت مسز مايير بالهتافات ، وكان هنالك بكاء وعويل ، وكان اليهود يمدون ايديهم لملامستها . كان ذلك في عهد ستالين ، وقد اتخذت الاجراءات الشديدة ضد كثير من اشتركوا في هذه المظاهرة للاعراب عن التعلق والمحبة تجاه الدولة اليهودية » (٣٣) .

واتيح لي شخصياً ان اشهد مظهراً آخر من مظاهر عطف يهود الاتحاد السوفيتي على اسرائيل واتجاه انظارهم اليها ، وذلك خلال انعقاد مهرجان السينما الدولي الرابع في موسكو في سنة ١٩٦٤ . وقد سبق ان ذكرنا ان اليهود في الاتحاد السوفيتي مبرزون بصورة خاصة في اوساط الموسيقى والمسرح والسينما ، ولهم كذلك نفوذ واسع في ميدان الصحافة الادبية والفنية . وقد لوحظ بصورة

(٣٣) Irving R. Levine, *Travel Guide to Russia*, New York, 1960, p. 189.

تلفت النظر حقاً ان الافلام الاسرائيلية لقيت دعاية لا تتناسب وما لقيته افلام الدول الاخرى المتقدمة في الفن السينمائي كالولايات المتحدة ، وانكلترة ، وايطاليا ، حيث امتلأت واجهات المخازن الكبرى والمقاهي وبعض المؤسسات فى شارع غوركي ، شارع موسكو الرئيسي ، باعلانات ولافتات وجرائد اسرائيلية وصور لنشاط الوفد الاسرائيلي الى المهرجان ، كما ارتفعت امام فندق موسكو مثلاً ـ وهو من اكبر فنادق العاصمة السوفيتية ، وقد نزلت فيه معظم الوفود الى المهرجان ـ ست صور لممثلات اسرائيليات بينما وضعت صورتان فقط لممثلتين من هنغاريا (الدولة الاشتراكية) ، واربع صور لممثلين من (بولونيا وجكوسلوفاكيا واليابان واسبانيا) ، ولم تعرض صورة واحدة للاعلان عن عن اي فلم عربي بالرغم من اشتراك اكثر من دولة عربية في المهرجان . وقد سمعت في حينه ان الوفد الاسرائيلي كان موضع حفاوة خاصة من القائمين بأمر المؤتمر ـ وكانوا من اليهود طبعاً ـ ونظمت له مناهج لزيارة بعض مدن الاتحاد السوفيتي ، وقد روعي فى اختيارها ان تكون من المدن التي يكثر فيها اليهود ، مثل « كييف » و « لينينغراد » ، والتقى اعضاء الوفد الاسرائيلي في المناسبات التي اقيمت له هناك كلمات في التعريف بالفن الاسرائيلي والسينما الاسرائيلية ، وقد سمعت انهم استغلوا هذه المناسبات للدفاع عن « حقوق » اسرائيل فى مياه نهر الاردن ، وفي توسعها من النيل الى الفرات .

الدعايات الصهيونية حول وضع اليهود في الاتحاد السوفيتي

اخذت ابواق الدعاية الصهيونية فى السنوات الاخيرة تثير ضجة كبيرة حول اضطهاد اليهود في الاتحاد السوفيتي ، والتمييز العنصري ضدهم ، وعدم تمتعهم بحقوق متساوية مع غيرهم من المواطنين . وتتزعم اسرائيل والاوساط الصهيونية في الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية الاخرى حملة عنيفة ضد الاتحاد السوفيتي بسبب سوء معاملة اليهود المقيمين فيه .

واكتفى بالاشارة هنا الى عدد قليل من مظاهر هذه الضجة المفتعلة . فمنها التهمة التي وجهها الى الاتحاد السوفيتي مندوب اسرائيل فى اجتماع لجنة حقوق الانسان التابعة للمجلس الاجتماعي والاقتصادي للامم المتحدة في سنة ١٩٦٤ بان الحكومة السوفيتية تنتهج سياسة معادية لليهود يقصد بها حرمان الطائفة اليهودية التي تقيم في الاتحاد السوفيتي من تراثها اللغوي والثقافي والديني . وقد رد عليه مندوب الاتحاد السوفيتي قائلاً ان قوى صهيونية مظلمة تقف وراء هذه التهم . واشار المندوب الجزائري الى اضطهاد اسرائيل للعرب الذين اصبحوا اقلية في بلادهم .

ومنها المؤتمر الذي عقد في شهر نيسان سنة ١٩٦٥ فى إحدى قاعات البرلمان السويدي وسمى « بالمؤتمر الاسكندنافي حول التمييز العنصري ضد اليهود في روسيا » . وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون من السويد

والدانمرك والنرويج ودعى اليه ممثلون عن سفارتي الاتحاد السوفيتي واسرائيل ، وطالب الذين خطبوا فيه بنبذ سياسة العداء لليهود والسماح لهم بالهجرة الى الخارج . وقد اثيرت حول هذا المؤتمر ضجة مفتعلة اثارت دهشة الراي العام السويدي .

ومنها المؤتمر الكبير الذي نظمته فى حزيران سنة ١٩٦٥ المنظمات الصهيونية في حديقة تايم سكوير حول يهود الاتحاد السوفيتي . وقد بعث الرئيس الامريكي جونسون خطاباً الى هذا المؤتمر قال فيه انه وحكومته مهتمون غاية الاهتمام بالوباء الذي اصاب يهود الاتحاد السوفيتي ، وان الشعب الامريكي الذي يستنكر وقوع اضطهاد او ظلم على اي انسان فى اي مكان (٣٤) ليرفع صوته مستنكراً الاضطهاد الواقع على يهود الاتحاد السوفيتي ، وخاصة القيود المفروضة على نشاطهم الديني والثقافى . واضاف انه يامل ان يقوم قادة الاتحاد السوفيتي برفع القيود التي تحد من نشاط الاقلية اليهودية في الاتحاد السوفتي .

نشاط اسرائيل وسفارتها في موسكو في الدعاية ضد الاتحاد السوفيتي

وتلجأ اسرائيل في ترويج هذه الدعايات الى اساليب مختلفة أيضاً ، من جملتها النشاط الذي كانت تمارسه

(٣٤) كذا ، ومما يؤيد اقوال الرئيس الامريكى استنكاره واستنكار الشعب الامريكى للاضطهاد والظلم الواقعين على عرب فلسطين !

سفارتها في موسكو فى الدعاية الصهيونية والاتصال باليهود السوفييت وتوزيع المنشورات الدعائية التي تتضمن تعريضاً بالحكومة السوفيتية وسياستها وتنويها ظاهراً او خفياً باضطهاد اليهود .

وقد حدثت خلال السنوات التي قضيتها في موسكو حوادث عديدة بنتيجة هذا النشاط الذي ينافى التقاليد الدبلوماسية ، ويجافي الذوق السليم ، ويفقد اي سفارة احترام الدولة المضيفة .

وكانت سفارة اسرائيل تتخذ من الكنائس اليهودية مراكز للدعاية التي تحاول القيام بها فتتصل باليهود الذين يحضرون لتأدية الصلاة ، وتوزع فيهم المنشورات الصهيونية . وكان مشاور السفارة المدعو « آبراهام آغمون » يكثر من التردد على الكنيس لهذه الغاية وليس لاجل الصلاة ، فلفتت الحكومة السوفيتية نظر السفارة الى ما يقوم به اكثر من مرة . ونشرت جريدة « ترود » ـ الناطقة بلسان نقابات العمال ـ في شهر مارت سنة ١٩٦٤ مقالاً عن هذا الموضوع اشارت فيه الى الرسائل العديدة التي تلقتها الجريدة من المواطنين السوفييت اليهود ، والتي يستنكرون فيها هذه المنشورات التي كان مشاور السفارة يوزعها على المصلين ، او يتناسى مجموعات منها على مقاعد الكنيس . واخيراً قررت الحكومة السوفيتية فى شهر آب سنة ١٩٦٤ طرد المشاور المذكور باعتباره شخصاً غير مرغوب فيه .

وكشف النقاب بعد ذلك عن حادث آخر وقع في مدينة « ريغا » عاصمة جمهورية لاتفيا ـ التي يؤلف اليهود نسبة كبيرة من سكانها ـ حيث قبضت السلطات السوفيتية على السكرتير الثاني للسفارة المدعو (زيمراد) بينما كان يتجول بين المستحمين على شاطىء البحر المزدحم . وبينما يشغلهم الزوج بالتحية والاستفسار عن اعمالهم واسمائهم تضع الزوجة بين امتعتهم رزمة صغيرة تحتوي على معلومات اعتبرتها الحكومة السوفيتية معادية لها ، ووصفتها بانها « معلومات صهيونية معادية للسوفييت » .

وقد نشرت جريدة « ترود » ايضاً ـ في عددها الصادر بتاريخ ٣١ آب سنة ١٩٦٤ ـ بمناسبة هذا الحادث مقالاً آخر هاجمت فيه سفارة اسرائيل بشدة ، ونشرت مع المقال تصويراً لسكرتير السفارة والى جانبه رزمة من المنشورات التي كان يوزعها ، وكان عنوان المقال طريفاً وهو « هدايا مسمومة » وبعض ما جاء فيه اكثر طرافة ، حيث يقول كاتبه :

« ان بعض المتطرفين الصهيونيين فى سفارة اسرائيل هم من الحماقة بدرجة يعجزون معها عن فهم الشعب السوفيتى . وان سيارات السفارة الاسرائيلية المحملة صناديقها المليئة بـ « الأزبال » الأيديولوجية ، طالما شوهدت خلال اشهر الصيف فى كييف واوديسا وشيرنوفتس وغيرها من المدن . وان السياح الاسرائيليين من حملة الباسبورتات الدبلوماسية تركوا وراءهم حيثما حلوا آثاراً قذرة » .

وحادث آخر كان بطله في هـذه المرة سفير اسرائيل نفسه ، ومسرحه مدينة اوديسا ، ميناء الاتحاد السوفيتي على البحر الاسـود ، ومن اقدم مراكز التجمع اليهودي واكبرها ، حيث يؤلف اليهود اكثر من (٢٠) بالمائة من مجموع سـكان المدينـة . ذلك ان بعض افراد الجاليـة اليهودية فى اوديسا كانوا قد قدموا الى اثنين من موظفي السفارة اثناء زيارة قاما بها الى مدينتهم عريضة يحتجون فيها على اقامة اسـرائيل علاقات دبلوماسية وودية مـع المانيا الغربية « تلك الدولة التي تعمل على تغيير الحدود الحالية ، وتستعد لشن حرب ضد الشعوب المحبة للسلام وتستخدم في وظائف الدولة نازيين من عمـلاء آيخمـان متفاضيـة عن جرائمهـم » . الا ان موظفـي السـفارة الاسرائيلية رفضا تسلم تلك العريضة ، وغادرا اوديسا في اليـوم التالي . فنشرت جريدة « ازفستيا » ـ الناطقـة بلسان الحكومـة السوفيتية ـ فى عـددها الصادر بتاريخ ١٠ نيسان ١٩٦٤ مقالاً هاجمت فيه سفارة اسرائيل على تصريحـات موظفيهـا في الكنيس ، وعلى رفضهم تسـلم العريضة التي كانت قدمت ـ دون شك ـ بموافقة الحزب الشيوعي ان لم يكن بايعاز منه . وبعد هذا الحادث بستة اسابيع صادف ان سافر السفير الاسـرائيلي الى اوديسا وحضر الصـلاة في الكنيس ، وبعد انتهائها نهض فى محله

ووجه الى الحاخام سؤالاً عن سبب ارسال الاحتجاج الى الصحف ، بعد ان رفضه موظفا السفارة ، واشتبك معه في مشادة كلامية ، ووصفه بأنه نازي وليس يهودياً ، كما الح ان يعتلي المنبر ويدافع عن موقف اسرائيل ووجهة نظرها من تبادل التمثيل الدبلوماسي مع المانيا الغربية ، فرفض الحاخام بطبيعة الحال ، وبين للسفير انه لا يجوز بحث القضايا السياسية في المعابد الدينية . ونشرت جريدة « ازفستيا » (٣٣) بعد عودة السفير مقالاً هاجمته فيه بالاسم ، وكان شديد اللهجة ، ويتضمن كثيراً من التهجم والانتقاد .

وصرح ناطق بلسان السفارة على اثر نشر المقال للمراسلين الغربيين ان اتهامات جريدة « ازفستيا » لا اساس لها من الصحة . فنشرت جريدة « النيويورك تايمس » الصادرة يوم ٢٢ مايس ١٩٦٤ فى الصفحة الاولى من طبعتها الاوربية هذا التصريح ، كما ان جريدة «لوموند» الفرنسية نشرت الخبر وانتقدت جريدة « ازفستيا » على مهاجمة سفير دولة اجنبية ، واعتبرت ذلك منافياً لواجبات المجاملة تجاه السفراء الاجانب ، ولم تجد كلتا الجريدتين في تصرفات السفير المذكور ما يستوجب الانتقاد ولم تعلقا عليها بكلمة .

وفى السنة الماضية (١٩٦٦) طردت الحكومة السوفيتية خلال فترة تقل عن الشهر الواحد موظفين

(٣٥) « ازفستيا » ٠ موسكو ـ ٢١ مايس ١٩٦٥ ٠

دبلوماسيين اثنين من سفارة اسرائيل لقيامهما بنشاط تخريبي يتنافى والعرف الدبلوماسي ، ويشكل اساءة لسياسة الاتحاد السوفيتي ، وهما (دافيد غافيج) السكرتير الثاني و (باز) السكرتير الثالث . ونشرت الصحف السوفيتية مقالات هاجمت فيها موظفي السفارة وقرنت النشاط الذي يمارسونه بما يمكن ان يسمى بالآيديولوجية التخريبية ، وقالت :

« فهم يموهون الحقائق ، ويزيفون الواقع فى محاولات يائسة لخدع البعض واغرائهم بالهجرة الى ارض الميعاد او الفردوس الارضى : اسرائيل » (٣٦) .

يهود الاتحاد السوفيتي والهجرة الى اسرائيل

ولقد وضعت جريدة « ازفستيا » فى مقالها هذا ، يدها على مصدر الداء وعلى الباعث الحقيقي للضجة التي تثيرها الصهيونية تباكياً على يهود الاتحاد السوفيتي . فقد ظهر لها ان من الصعب اقناع اليهود الامريكيين بالهجرة الى اسرائيل ، خاصة وانهم يكتفون بتقديم المساعدات دون التفكير فى الهجرة وترك مستوى المعيشة الذي يتمتعون به في امريكا . وظهر ايضاً ان هذه المشكلة تواجه الصهيونية مع يهود امريكا اللاتينية حيث الفرص الضخمة للحياة والتقدم وجمع الثروات . ولذلك وجهت الصهيونية نظرها الى المركز الثاني لتجمع اليهود في العالم بعد الولايات

(٣٦) « ازفستيا » ـ موسكو ـ ٦ ايلول ١٩٦٦ .

المتحدة ، وتبنت سياسة الضغط على الاتحاد السوفيتي لفتح الباب أمام هذا المصدر الوحيد والضخم للهجرة الى اسرائيل وذلك بمواصلة الدعاية ، واتهام الاتحاد السوفيتي باضطهاد اليهود .

وليس من شأننا ان ندافع عن الحكومة السوفيتية او ننتصر لها ، فهي قادرة على الدفاع عن نفسها ولديها من الوسائل ما يمكنها من ذلك ، ولكن لا بد لنا ان نقرر حقيقة الدوافع التي تكمن وراء هذه الضجة المفتعلة ، مما يهمنا ان يكون معروفاً للعالم .

ان الباعث على هذه الحملة غير خفي ، وهي سواء أكانت كلمات حق أم لم تكن ، فان المراد بها باطل حتماً ، وهو احراج الاتحاد السوفيتي امام الرأي العام العالمي ، والضغط عليه بكل وسيلة ممكنة ، لحمله على فتح باب الهجرة لليهود السوفييت .

ان موقف الحكومة السوفيتية من رعاياها اليهود لا تقرره اسرائيل ، ولا علاقة له بالصهيونية . فقد وجد اليهود فى روسيا قبل ان تخلق اسرائيل ، وقبل ان تظهر الصهيونية السياسية الى الوجود . فاذا أحب انروس اليهود أم كرهوهم ، واذا احسنوا معاملتهم أم اضطهدوهم ، فان الامر لا علاقة بالسماح لهم بالهجرة الى اسرائيل او منعهم عنها . وسواء أوجد تمييز عنصري ضد اليهود فى الاتحاد السوفيتي أم لم يوجد ، فان موضوع هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل لا يقرره ذلك التمييز ايضاً .

وليس من سياسة الحكومة السوفيتية بصورة عامة ان تسمح بهجرة مواطنيها ، لا فرق في ذلك ان يكون طالب الهجرة روسياً ام اوكرانياً ام مسلماً ام يهودياً . وهذه قضية داخلية تخص الحكومة السوفيتية وحدها ، تقررها حسب ما ترتئيه وعلى ضوء ما تمليه مصالحها . ومن جملة اسباب ذلك انها هي بحاجة الى الايدي العاملة لبناء المجتمع الذي تسعى لتحقيقه . ولذلك فمن خطل القول ، ومن التضليل والافتراء ، ان يقال ان يهود الاتحاد السوفيتي مضطهدون ، وان يكون الدليل على ذلك ان الحكومة لا تسمح لهم بالهجرة الى اسرائيل . وقد كانت هذه التهمة تصح لو منع اليهود عن الهجرة ، وسمح بها لغيرهم .

وختاماً فان نشاط الدعاية الصهيونية في معظم الحالات كان وبالاً عليها ، وتأثيرها كان معكوساً . كما ان الدعاية العربية ـ على الرغم من مآخذها ونواقصها ـ لم تسف في يوم من الايام الى هذا الدرك ، والحق يعلو ولا يعلى عليه والسلام عليكم .

المصـــادر

Baron, Salo W., *The Russian Jew Under Tsars and Soviets,* New York: Macmillan, 1964.

Carr, E.H., *Socialism in One Country,* 8 vols., London: Macmillan, 1958.

Dallin, David J., *Soviet Foreign Policy After Stalin,* London: Methuen & Co., Ltd., 1962.

Duker, Abraham G., *Workshop in Jewish Community Affairs.* New York: American Jewish Congress, n.d., (c. 1953).

Epstein, Isidore, *Judaism,* London: Penguin, 1964.

Federbush, S., *World Jewry Today,* London: W.H. Allen, 1959.

Grayzel, Solomon, *A History of the Jews,* Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1964.

Greenberg, Louis, *Jews in Russia,* 2 vols., New Haven: Yale University Press, 1953.

Gunther, John, *Inside Russia Today.* New York: Harper, 1957.

Halperin, Samuel, *The Political World of American Zionism,* Detroit: Wayne State University, 1961.

Herzel, Theodore, *The Jewish State: An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question.* tr. by: Sylvia a'Avigdor (1896).

Kirk, George E., *The Middle East in War.* London: Oxford University Press, 1962.

Laqueur, Walter Z., *The Soviet Union and the Middle East.* London: Routledge & Kegan Paul, 1959.

Levine, Irving R., *Travel Guide to Russia.* New York: Doubleday, 1960.

Lilienthal, Alfred M., *There Goes the Middle East.* New York: Devin-Adair Co., 1957.

Lowenthal, Marvin, (tr. & ed.) *The Diaries of Theodore Herzel.* London: Victor Gollancz, 1958.

Mohamad, Fadhil Zaky, *Congress and Foreign Policy.* Baghdad: Ministry of Culture and Guidance, 1965.

Parks, James, *A History of the Jewish people.* London: Penguin, 1964.

Pistrak, Lazar, *The Grand Tactician: Khrushchev's Rise to Power.* London: Thames and Hudson, 1961.

Rabinovich, Solomon, *Jews in USSR.* Moscow: Novosti Press Agency Publishing House, 1965.

Smith, Walter Bedell, *My Three Years in Moscow.* Philadelphia & New York: J.B. Lippincott Company, 1950.

Stevens, Richard P., *American Zionism and U.S.A. Foreign Policy.* New York: Pageant Press, 1962.

Taylor, Alan R., *Prelude to Israel: An Analysis to Zionist Diplomacy.* London: Longman and Todd, 1961.

Truman, Harry S., *Memoirs.* 2 vols., New York: Doubleday, 1955.

Seton-Watson, Hugh, *The Decline of Imperial Russia.* London: Methuen, 1964.

Utechin, S.V., *Concise Encyclopaedia of Russia.* London: J.M. Dent & Sons Ltd., 1961.

American Jewish Year Book, Philadelphia: The American Jewish Committee, 1925.

American Jewish Year Book, Philadelphia: The American Jewish Committee, 1965.

Bolshaya Sovetskaya Entsiklopediya, Moscow.

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59662085
ME26068
Yahud wa-al-Sihyuniy

مطبعة الحكومة ـ بغداد

الطبعة الاولى (٢٠٠٠)